إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات – يونيو ٢٠٢٤ م

"لنتفكر في أنفسنا ونكون يقظين، أيها الإخوة. من سيعيد لنا هذا الوقت الحاضر إذا أضعناه؟"

أبا دوروثيوس عن اليقظة والاعتدال[i]

الإِخْوَةُ الأَحِبَّاءُ،

قال لنا ربنا يسوع المسيح: "**فَاسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ**" (مت ٢٥: ١٣). يناقش أبا دوروثيوس الحاجة إلى اليقظة ويبدأ بالمقدمة التالية، التي تحتوي على عدة نقاط حول كيفية البقاء مركزين ويقظين:

"كان أبا أرسانيوس يقول لنفسه دائماً: "أرساني، لماذا جئت؟"،نحن في حالة من الإهمال والخراب، لدرجة أننا لا نعرف لماذا جئنا؟؛ لا نعرف حتى ما نريد، ولذلك لا نتقدم، ولكننا دائماً في حالة من الضيق. يحدث هذا لأننا ليس لدينا هدف محدد في قلوبنا، وفي الواقع إذا قررنا أن نحارب قليلاً، في وقت قصير لن نجد الحياة ضاغطة أو شاقة. لأنه إذا غصَبَ الإنسان نفسه منذ البداية وصارع قليلاً، فإنه يتقدم في وقت قصير، وبعد ذلك يمضي بسلام. عندما يرى الله أنه يغصب نفسه، يمنحه المساعدة. لذا، يجب أن نبذل جهداً. دعونا نضع أساساً جيداً، دعونا في الوقت نفسه نرغب فيما هو جيد. من الواضح أننا لم نصل بعد إلى الكمال، ولكن على الأقل نرغب في أن نكون كذلك، وهذا هو بداية خلاصنا. لأن من هذه الرغبة سنأتي بصحبة الله إلى المعركة، ومن خلال المعركة. هكذا سيتم مساعدة الإنسان في اكتساب الفضائل"[ii].

النقطة الأولى التي يذكرها أبا دوروثيوس هي: "**أننا فقدنا ونسينا سبب قدومنا**". من الضروري أن نتذكر باستمرار: لماذا تركنا العالم وانضممنا إلى الدير؟

في "**سلم الفضائل الإلهي**" يقول القديس يوحنا السُلَّمي: "**كل هذا يفعله من يتحول بإرادته عن أمورهذه الحياة، إما من أجل الملكوت الآتي، أو بسبب كثرة خطاياهم، أو بسبب حبهم لله**". هل تركنا العالم بسبب الملكوت الآتي؟ إذا كان الأمر كذلك، فلا يجب أن يكون لدينا رغبة في أمور هذا العالم الفاني.

يجب أن نفكر باستمرار في الله، وجميع القديسين، وأحبائنا الذين ينتظروننا في فردوس الفرح. يجب أن نتأمل في حياتهم ونسعى لتقليد أعمالهم. إذا فكرنا باستمرار في الملكوت الآتي، فلن نتجادل بشأن الأمور التافهة المتعلقة بالأشياء المادية، التي ليس لها علاقة بحياتنا الأبدية. هل نركز على التوبة اليومية؟ هل نفحص أفعالنا باستمرار، ونرى إذا كانت مفيدة، أم أننا تسببنا في الأذى لأنفسنا أو للآخرين من حولنا؟ أم أننا نركز على خطايا وصراعات الآخرين من حولنا؟

من السهل أن نغفل عن سبب قدومنا، عندما نكون مشتتين بما يحدث من حولنا، ولكن عندما ننظر إلى أنفسنا، سنبقى مُركَّزين.

هل نتذكر محبة الله، الذي **"بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا"** (رو ٥: ٨)؟ هل **"نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً"** (١يو ٤: ١٩)؟ هل ننظر باستمرار إلى الصليب ونتذكر محبته العظيمة لنا؟ إذا تأملنا بعمق في الصليب، سندرف الدموع عندما نتذكر كل الأشياء التي فعلناها، والتي تسببت له في المعاناة والموت من أجلنا، وسنتوب. بعد ذلك، سنفرح بخلاصنا، وستتحول دموع حزننا إلى دموع فرح.

النقطة الثانية التي يذكرها أبا دوروثيوس هي: **"أننا لا نعرف ما نريد**، وبالتالي لا نتقدم، ولكننا دائماً في حالة من الضيق. لأننا ليس لدينا هدف محدد في قلوبنا".

في كتاب المناظرات نتعلم من الأب موسى أن: "نهاية مهنتنا، كما قلنا، هي ملكوت الله، أو ملكوت السماوات؛ ولكن الهدف أو الغاية هو **نقاء القلب**، بدون ذلك لا يمكن لأي شخص الوصول إلى تلك النهاية".[iii]

كلنا نرغب في الوصول إلى الملكوت، لذلك يجب علينا أن نفعل يومياً ما سيمكننا من الوصول إلى وجهتنا النهائية بسلام. يعطي الأب موسى مثالاً عن مزارع سيتحمل الطقس السيء، والحر الشديد للعمل يومياً في حقله، لأن هدفه النهائي هو الحصول على حصاد وفير بمحاصيل غزيرة. يعلم أنه ما لم يعمل شيئاً فشيئاً كل يوم، بغض النظر عن أي صعوبة يواجها، فلن يصل أبداً إلى هدفه النهائي، وبنفس الطريقة، يجب أن نركز يومياً على تنقية قلوبنا. كل ما يمكن أن يوجهنا إلى هذا الغاية، وهو نقاء القلب، يجب السعي إليه بكل قوتنا، وكل ما يردعنا عن ذلك يجب تجنبه باعتباره خطيراً وضاراً".

النقطة الثالثة التي يذكرها أبا دوروثيوس هي: **"إذا بدأ الإنسان من البداية بالغصب على نفسه**، وصارع نفسه قليلاً، في وقت قصير سيحقق تقدماً، وبعد ذلك يمضي بسلام، عندما يرى الله أنه يغصب نفسه، يمنحه المساعدة".

بشأن هذا يقول القديس يوحنا السلمي: **"من المذموم والخطير أن يكون المصارع متراخياً في بداية المسابقة، مما يُبرهن للجميع هزيمته الوشيكة. لنبدأ بدايةً قويةً في حياتنا الروحية، لأن هذا سيساعدنا إذا جاء أي تراخي لاحقاً. الروح الجريئة والمتلهفة ستحفزها ذكري حماسها الأول، وبذلك يمكنها اكتساب أجنحة جديدة[iv]".**

وأخيراً، **النقطة الرابعة** التي يذكرها أبا دوروثيوس تتعلق بالفضائل. يقول إنه إذا فعلنا كل ما ذكره سابقاً، فإنه **"سيتم مساعدة الإنسان في اكتساب الفضائل"**. لذلك، فهو يقول:

"إنه بمجرد أن نعيد فحص سبب تركنا للعالم، ونفهم هدفنا اليومي ثم نجاهد لتحقيقه، فإن الله سيساعدنا في اكتساب الفضائل".

إذا أراد أي شخص اكتساب الفضيلة، فلا ينبغي له أن يدع نفسه يتشتت، أو يتضخم بآمال باطلة. يجب ألا يهتم بأي شيء آخر سوى أن يهتم بالفضيلة فقط ليلاً ونهاراً، حتى يتمكن من الاستحواذ عليها. لأنه ما لم يجبر الإنسان نفسه، ويكافح ضد ميوله الشريرة، فإنه يسقط بسهولة، ويبتعد عن طريق الفضيلة."[v] ويواصل قائلاً:

"فليكتشف كل شخص مكانه؛ كم من الأميال قطع على الطريق. يجب ألا نفحص أنفسنا كل يوم فحسب، بل أيضاً على مدارفترة من الزمن، كل شهروكل أسبوع[vi]".

ليمنحنا الله اليقظة حتى نكون **"مِثْلُ أُنَاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتَى يَرْجِعُ مِنَ الْعُرْسِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ لِلْوَقْتِ. طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ"** (لو ١٢: ٣٦، ٣٧).

---

[i] Dorotheos of Gaza, Dorotheos of Gaza Discourses and Sayings, Cistercian Studies Series (Volume 33, Trans. Eric P. Wheeler, Kalamazoo, Michigan: Cistercian Publications, 1977), 163.

[ii] Dorotheos of Gaza, Dorotheos of Gaza Discourses and Sayings, Cistercian Studies Series (Volume 33, Trans. Eric P. Wheeler, Kalamazoo, Michigan: Cistercian Publications, 1977), 163–164.

[iii] John Cassian, John Cassian: The Conferences, ed. Walter J. Burghardt, John Dillon, and Dennis D. McManus, trans. Boniface Ramsey, vol. 57, Ancient Christian Writers (New York; Mahwah, NJ: Newman Press, 1997), 43.

[iv] John Climacus, John Climacus: The Ladder of Divine Ascent, ed. Richard J. Payne, trans. Colm Luibheid and Norman Russell, The Classics of Western Spirituality (Mahwah, NJ: Paulist Press, 1982), 76.

[v] Dorotheos of Gaza, Dorotheos of Gaza Discourses and Sayings, Cistercian Studies Series (Volume 33, Trans. Eric P. Wheeler, Kalamazoo, Michigan: Cistercian Publications, 1977), 164–165.

[vi] Dorotheos of Gaza, Dorotheos of Gaza Discourses and Sayings, Cistercian Studies Series (Volume 33, Trans. Eric P. Wheeler, Kalamazoo, Michigan: Cistercian Publications, 1977), 170.